AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

ملامح النقد البنيوي في الأدب العربي الحديث: دراسة على ضوء الرؤية الإسلامية

[FEATURES OF STRUCTURAL CRITICISM IN MODERN ARABIC LITERATURE: A STUDY FROM THE ISLAMIC PERSPECTIVE]

Khalil Mohammad Usman Gbodofu

Department of Arabic, Faculty of Arts, University of Ilorin, Ilorin 240102, Kwara State, Nigeria

Corresponding Author: *khalilulahgbodofu@gmail.com*

Received: 12/1/2023 *Accepted: 7/2/2023* *Published: 31/8/2023*

ملخص

يشهد القرن العشرون الميلادي تطورا في مفهوم اللغة والنقد ويعتبر فرديناند دي سوسير العالم اللغوي الفرنسي من أوائل الدين أحدثوا ثورة في علوم اللغة والأدب، إذ فرّق بين اللغة والكلام، وميّز بين النظام اللغوي والأدبي مما أدّى إلى مفهوم جديد للبنية أو البناء أو التركيب. فإن النظرية الشكلية الروسية من أهم الدوافع التي أدت به إلى هذه العملية نحو التطور. والملاحظ أن النقاد العرب القدماء قد أسهموا في النقد البنيوي قبله إسهاما كبيرا، ولعل محاولة قدامة بن جعفر البغدادي في كتابه "نقد الشعر" من أولى محاولاتهم في الموضوع البنيوي، ومن ذلك استعمال عبد القاهر الجرجاني المصطلحات البنيوية كالنسق والنظام، في بعض مؤلفاته ومصنفاته، وتحدث كثيرا عن البناء والتركيب في الشعر العربي، وبعده دعا حازم القرطاحني إلى بناء الجملة، وكان رولان بارت يسير على نمط الجرجاني والقرطاجني، ويوافقهما في ما ذهبا إليه في البناء. وفي العصر الحديث لعب إبراهيم أنيس وتلاميذه دورا فعّالا في هذا الموضوع، لأنهم استوعبوا البنيوية استيعابا موفقا، وأما في هذه الورقة فإننا سنعرض التعريف بالبنيوية بإيجاز، ونذكر طائفة من أعلامها، كما نتحدث عن البنيوية في النقد الأدبي، وعن عناصرها عند النقاد العرب وغير العرب، ونناقش موقف الإسلام منها، من حيث ننظر إلى الاتجاه الفني والفكري بالتفصيل، وفي هذا البحث ننتهج المنهج التاريخي لتوثيق المعلومات التاريخية عن البنيوية من خلال تتبع نشأتها ومعالمها وأعلامها كما نستعين بالمنهج التّحليلي، ونرى أن لهذا المنهج علاقة متينة بين الدّراسة والتّصوير البياني، ومن أهم النّتائج هذا البحث أنّه ينبغي للباحثين وكلّ من يقرأ ويكتب في النّقد الأدبي الحداثي عند العرب أن يهتمّوا بالبنيويّة في التراث العربي القديم، وخاصة في القرآن الكريم والأحاديث النّبويّة الشّريفة،

وأن يفضوا الغبار عن التّراث الإسلامي الذي ينتجه الملحدون وإخوانهم، وفي الخاتمة نأتي بالتوصيات والاقتراحات مع الاعتماد على المصادر والمراجع الداخلية والخارجية.

الكلمات المفتاحية: النقد، البنيوية، الأدب، الحديث، الإسلام

Abstract

The twentieth century has witnessed a development in the concept of Language and Criticism. The French Linguist fardinand sorcer is one of the predecessors who brought revolution in the science of language and literature as he distinguished between language and Speech and differentiated between the system of language and literature which led to a new concept of Structure system, or construction. Indeed, the structural arrangement is among the most important cause of this development it is observed that the Classical Arabic critics have contributed immensely to structural criticism before him. Indeed, efforts of qudamah Bn ja'far al- Baqdadi in his book "poem criticism" is one of the first attempt in the concept of structuralism and from there abdul Qadr Aljurjany derived the structural terms such coherence and arrangement in some of his publications and books, just as many findings have emerged on structure, arrangement on Arabic poems. After him, hazim al- Qurtahani has researched on sentence structure and Rolern Bert followed al- jurjani and Qurtahani in their research and agreed equally to their postulates on structuralism. In the modern day, Ibrahim Anis with his students have played an active role in this topic and discussed structuralism in an acceptable form. In this paper, we shall present the definition of structuralism in brief and we shall mention some of its proponent and we shall discuss structuralism in literary criticism alongside its components as presented by the Arab Critics and the non-Arab critics and state the Islam perspective of it examining the artistic and the mastic aspects in details. In conclusion, we shall bring suggestions and advises citing references and sources which are external and internal.

Keywords*: criticism, structuralism, literature, modern, Islam*

Cite as: Gbodofu, K. M. U. (2023). Malamih al-Naqd al-Binyawi fi al-Adab al-'Arabi al-Hadith: Dirasah 'ala Daw' al-Ru'yah al-Islamiyyah. *Afaq Lughawiyyah*, *1*(2), 281-294. https://doi.org/10.37231/afaq.2023.1.2.51

© Penerbit Universiti Sultan Zainal Abidin, 2026. This work is licensed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY) (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مقدمة

النقد الأدبي نشاط فكري عام، لا يستغنى عنه الأديب، إذ هو معيار وتقييم لأي عمل أدبي، وأما ما يسمّى النقد العربي الحديث فهو وليد ثقافة الإسلام، ونتيجة حضارة دون حضارة القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

ولقد أساء بعض الدارسين مفهوم القديم والجديد في العمل الأدبي، ولا شك أن سوء الفهم يؤدي إلى سوء الانتماء والانتساب، وظنوا أن موافقة الغرب هي الجديد، فمالوا إلى الفرنسيين والبرطانيين والأمريكيين ونحوهم من الذين كانوا يتميزون بالعقائد الوثنية في تواريخهم وآدابهم

المختلفة، والتجديد لا يمكن أن يكون ترفا ولا هوى ولا لهوا، ولكنه نمو وتطور طبيعي يمضي على سنن الله ثابتة في الحياة الدنيوية (al-Nahwi, ٢٠٠٥). ومن سنن الله سبحانه وتعالى أن يجعل للإنسان ثوابت يتمسك بها، ويتطرقها إلى النمو والتطور.

وقد يحاول بعض الناس الخروج عن هذه الثوابت بحجة أنها قديم أو تقليد، ووضعوا لأنفسهم ثوابت جديدة مخالفة لما وضعه الله سبحانه وتعالى، ومن هنا دار الصراع بين القديم والجديد، فمن القديم ما يمثل ضرورية للأديب قبل أن يبدع ويأتي بجديد نابع من ذاته، جديد بمعنى من المعاني يربطه مع القديم الذى قلده وتكون ثوابت الأمة آنذاك هي تربطها مع القديم، وقد نرى ذلك في الشعر الجاهلي لأن كثيرا من الشعراء الجاهليين كانوا مقلدين أول أمرهم أو رواة الشعراء السابقين لهم، ملكوا ناصية الشعر فاستقلوا وانطلقوا، وقد نجد هذه الظاهرة في أمور كثيرة غير الشعر كالصناعات مثلا، فمن الأمم من قلدوا بداية أمرهم الرواد، ثم ما لبثوا أن جددوا في صناعاتهم، وربما فاقوا من قلدوا وأبرزوا أصالتهم (al-Nahwi, ٢٠٠٥). ولقد ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي المذاهب النقدية الجديدة منها الإنطباعيةImpressionism ، والتعبيرية Expressionism، والتكعبيةCubism ، والرمزيةSymbolism ، والتصويرية Imagism، والوجودية Existentialism، والبنيوية Structuralism وما إلى ذلك.

مشكلة البحث

من المتأكد أن يتعرض البحث لبعض المشكلات التي هي طبيعة كل بحث علمي، حيث لا ينجح أي بحث من عرقلة أو أخرى. ومن أبرز المشكلات التي تواجه هذا البحث ما يأتي:

١) إشكالية فهم البنيوية على الدارسين، إذ يعدها بعضهم عنصرا من عناصر اللغة فقط، مع أنها تتضمن الخصائص الأدبية والنقدية.

٢) شعور بعض الدارسين والباحثين بأنه ليس للإسلام موقفا - إيجابيا كان أو سلبيا - تجاه النقد الأدبي الحداثي أمثال البنيوية والتفكيكية والسيمولوجية.

٣) قلة الكتب الأدبية التي تعالج قضايا البنيوية، وموقف الإسلام منها في مكتبات الجامعات النيجيرية وفي دهاليز علماء هذه البلاد.

منهج البحث

اعتمد الباحث في إعداد هذه الورقة على المنهجين: التاريخي والوصفي. نستعمل المنهج التاريخي لتقييد المعلومات عن نشأة البنيوية ومعالمها، ولتوضيح الأوضاع التي مهدت السبيل إلى إيجاد

أعلامها في العالم العربي والإسلامي. وأما المنهج الوصفي فقد استخدمناه في تحليل النصوص الواردة، وفي تقييم النماذج الفنية.

التعريف بالبنيوية

يقول وليد قصاب: إن البنيوية هي- في معناها الواسع- طريقة بحث في الواقع كله، لا في أشيائه الفردية، بل في العلاقات بينها، محاولة اكتشاف القوانين الشاملة التي تتحكم فيها، مستفيدة من علم اللغة ونظامها (Qasab, ٢٠٠٧).

وبهذا التعريف نفهم أن نظرية البنيوية تمتد إلى علوم كثيرة كالرياضيات، وعلم الاجتماع، والسياسة، والأدب، والنقد. وقد تزعم أصحاب هذه النظرية أنها تملك المفاتيح لمغاليق المعرفة كلها، وإنها قادرة على تفسير كل شيء وذلك بما تملكه من روح التسامح التي تعينها على قبول القرائن التي تتعارض في ظاهرها، وذلك من خلال الولع باكتشاف الأنماط (Qasab, ٢٠٠٧). ولعل هذا الامتداد الشامل إلى عدة علوم مما أدى بعض الباحثين إلى أن يجعلوا للنظرية البنيوية منهجا في الأدب والنقد.

وأما فكرة البنيوية فقد ابتدأت بالظهور في القرن العشرين الميلادي على أيدي رومان (جاكوبسن) أحد أعضاء مجمع اللغة موسكو، وكانت له حلقة تسمى "حلقة موسكو اللغوية" يدعو فيها (جاكوبسن) إلى إلغاء المناهج النقدية التقليدية، واستثمار علوم اللغة لتأسيس مناهج جديدة (Qasab,٢٠٠٧)، وقد التقى "ليفى شترواس" - وهو من أكابر علماء اللغة في الغرب- مع "جاكوبسن" في هذه الفكرة ثم تضافرت جهود الاثنين في لحظة كاشفة فكتبا معا تحليلا بنيويا لسونيت القطط لبودلير، عالم أثربولوجي بكل أدواته المنهجية في تحليل الأساطير والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات البدائية، والعالم اللغوي بمحصوله الوفير في الدراسات الصوتية والايقاعية واللغوية بصفة عامة، يلتقيان لتحليل نص شعري لشاعر فرنسى يمكن أن تعتبر نموذج تحليل سونيت القطط بمثابة الإعلان بمولد المنهج البنيوي في النقد العالمي الحديث (Fadl, ٢٠٠٥).

وفي عام ١٩٧١م، اضمخلت حلقة موسكو اللغوية، وتقهقرت حركاتها الأدبية واللغوية، فاتفق بعض أعضائها على تأسيس حلقة أخرى، تسمى "حلقة براغ اللغوية" وقد انضم إليها أعلام من النقاد الأوربيين وأعلنوا مبادئ النقد لتلك الحلقة في مؤتمرهم الدولي الأول الذى عقدوه عام ١٩٦٨م، تحت عنوان "النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية" (Qasab, ٢٠٠٧)، وهناك بعض مؤلفات تدعو قبل ذلك إلى هذه الفكرة البنيوية، منها كتاب: "دروس في علم اللغة العام للسويسري لفريدنيا دوسوسير المتوفي عام ١٩١٣م، ولهذا أخذ فضل صلاح يقول: "كانت أفكار العالم اللغوي

السويسري الشهير دي سوسير" وهي المنطلق لهذه التوجيهات لأن مبادئه التى أملاها على تلاميذه في كورس "الدراسات في جنيف اللغوية كانت تمثل البداية المنهجية البنيوية في اللغة، وذلك عبر مجموعة من الثنائيات المتقابلة التي يمكن عن طريقها وصف الأنظمة اللغوية" (Fadl, ٢٠٠٥).

يعتبر الباحثون دي سويسر من عباقرة علم اللغة الذين أسهموا كثيرا في تشكيل النظرية البنيوية، وكان تصوره أقرب شيء إلى ما ينبغي أن نسميه "التصور البنيوي اللغوي" أو أن نطلق عليه "الأبنية اللغوية" وإن لم يستخدم هو أمثال هذه المصطلحات. ومن أبرز آثاره البنيوية اللغوية، تمييزه بين علم اللغة الخارجي وعلم اللغة الداخلي، فعلم اللغة الخارجي- عند دى سوسير- هو العلم المرتبط بالعلاقات والظروف والبيئات والآوضاع الخارجية المتصلة بالحقائق اللغوية، أما علم اللغة الداخلي فهو الذي ربط بالقوانين المنبثقة من اللغة ذاتها بغض النظر عن الإطار.

بعض أعلام البنيوية في النقد الأدبي

أعلام النقد البنيوي صنفان: الصنف الغربي والصنف الشرقي.

أما الصنف الغربي فهم أصدقاء دى سوسير وأحباؤه وتلاميذته أمثال:

١) "جاك لاكان" الذي كان له دور كبير في التحليل النفسي البنيوي، وفي المزج بين عمليات التداعي في الوعي والبنية اللغوية البنيوية التي تستقطف دائما نموذج اللغة والأدب (Qasab, ٢٠٠٧).

٢) ومنهم تودوروف، صاحب كتاب "الشكلة للنثر".

٣) وشكلو قسكى، صاحب كتاب "نظرية النثر"

٤) وقلاديميريروب، صاحب كتاب "علم تشكل الحكاية".

٥) وتوماشيقسى، صاحب كتاب "نظرية الأدب".

٦) وريقاتير، في كتابه "مقالات في علم الأسلوب الأدبي".

٧) وشارل بودوان "صاحب التحليل النفسي للفن".

٨) ورينيه لافورج "صاحبة إخفاق بودلير".

٩) وغاستون باشلار، وهو من أكثر مفكري القرن العشرين عمقا وتأثيرا، سواء في الفلسفة، أو العلوم، أو النقد الأدبي، أو دراسة الشعر، ترك بصمته الفكرية والنقدية على جميع النقاد

الفرنسيين من الجيل التالي له، وفي مقدمتهم بارت، وغولدمان، وبوليه، وموورون، وستار، وبنسكى، وقيبير. وقد تأثر هو نفسه بفلسفات التطور والقوة الحيوية عند نيتشه وبيرحبسون، وبالتحليل النفسي عند يونغ، واستطاع أن يمنح النظرية الظاهرية مفهوما بنيويا ملموسا من خلال إعادته النظر في مفهوم الخيال الذي اعتبره روح الإنسان التي تشكل فكره وسلوكه وكيانه ووجوده، باعتبار الخيال متجها نحو الجسد ومندمجا في العالم (Qasab, ٢٠٠٧).

وأما الصنف الشرقي فهم النقاد العرب الذين انكبوا على امتزاج النقد العربي بالغربي، ومنهم من مال إلى النزعة الغربية، ومنهم من اكتفى بما عند العرب ودافع عنه فنيا وعقيدة، ومن مشاهير النقاد البنيويين في الشرق العربي:

١) كمال الدين أبو ديب، الذي تحدث كثيرا عن ضرورة تطوير نظرية نقدية ولغوية عربية، حتى اعتبر البنيوية كالمنقذ من الضلال للعقل العربي (Ragib, ٢٠٠٣).

٢) جابر عصفور، صاحب كتاب "عصر البنيوية".

٣) عصفور صاحب كتاب "البنيوية وما بعدها".

٤) صلاح فضل، له كتاب "نظرية في النقد الأدبي".

٥) أحمد درويش، له ترجمة "بنية لغة الشعر".

٦) زكريا إبراهيم له كتاب "مشكلة البنية".

٧) عبد العزيز حمودة، له كتب كثيرة في البنية منها: "الخروج من التيه" و "المزايا المقعرة".

٨) ومنهم وليد قصاب صاحب كتاب "مناهج النقد الأدبي الحديث".

٩) ومنهم إبراهيم أنيس، صاحب كتاب "موسيقى الشعر".

١٠) ومنهم تمام حسان، صاحب كتابي "مناهج البحث في اللغة" "واللغة العربية: معناها ومبناها".

١١) ومنهم محمد عزام، صاحب كتاب "المنهج الموضوعي في النقد الأدبي".

١٢) ومنهم حسين الواد "البنية القصصية في رسالة العقران".

١٣) ومنهم رشاد رشدى، الذي كافح وناضل من أجل هذا المنهج في وقت كانت الريادة والسيادة للمنهج الأيديولوجي، وقامت المعارك الأدبية بينه من جهة، و"محمد مندور" من جهة أخرى، وكان من أهم آراء مدرسة "رشاد رشدي" أنه ليس للناقد أن يناقش أو يتحكم فيما يريد الكاتب ما أراد قوله، وعلى أي نحو سار، وهل نجح في تقديمه في صورة جميلة تجذب إليها العقول والقلوب أم لم ينجح؟ (al-Samari, ٢٠١١).

لقد بذل "رشاد رشدي" جهودا مضنية من أجل ترسيخ مبادئ هذا المنهج، وتكوين خلق له يحملون الرأية من بعده، وكان من هؤلاء الخلف بعض أساتذة الأدب الانجليزي مثل: فاطمة موسى وفايز أسكندر، وأمين العيوطي، وسمير سرحان (al-Samari, ٢٠١١).

ومن الذين قدموا إسهاماتهم تجاه النظرية البنيوية: شفيق عبد الرزاق أبو سعدة، والسعيد عبادة، وزكريا عبد المجيد النوتي، وكمال الدين عبد الباقي لاشين، وهارون الرشيد يوسف النيجيري.

البنيوية في النقد الأدبي

إن البنيوية الأدبية عبارة عن محاولة تطبيق علم اللغة العام على دراسة الأدب، وقد اهتم أصحاب هذه النظرية بشكلانية الأدب، ونظروا إلى النص الأدبي نظرا كبيرا، وقالوا إنه جسد لغوي يجب أن يخرج من ملابسات خارجية، وأن نحرره تحريرا كليا من الديباجة التقليدية حتى يتسم بسمة علم ومنهج.

ولقد أثارت البنيوية الأدبية كثيرا من النقاش والجدل بين الباحثين ذلك لأن أصحابها كانوا كثير الهجوم على أصحاب المناهج النقدية الأخرى، إذ حسبوا أن البنيوية هي السبيل الوحيد الذي ينبغي أن يسلكه الباحث في النقد الأدبي، ولقد تعصبوا لهذه النظرية وظنوها نهاية الحضارة (Fadl, ٢٠٠٥). وعلى هذا الاعتبار نسلط الضوء- في هذا الصدد على المبادئ التى أسسوا عليها البنيوية الأدبية من أهمها:

أولا: إن البنيوية لم تجعل قيمة للمحور التاريخي في الدراسات الأدبية، ولم تضع ضرورة لاستمرار الاستغراق فيه كما يعمل الباحثون الأيديولوجيون الذين أسرفوا في تحويل كل شيء إلى التاريخ (Fadl, ٢٠٠٥). إذ التاريخ عند البنيويين نوع من الفلسفات، ولا ينبغى أن يمتزج الأدب بالفلسفة وإنما بشيء آخر، ولهذا أخذوا يطلقون على بعض أعمالهم الفنية كلمة "أدبية الأدب".

ثانيا: لا يهتم المنهج البنيوي بشرح العمل الأدبي، أو تفسيره، ولا يطرح سؤالا عن وظيفة الأدب ودوره، ولا يبحث عن ثقافته، بل يتركز على تحليل النص الأدبي فقط.

ثالثا: إن المنهج البنيوي لا يهتم بالعالم الذي يكتب عنه الأديب، ولا يهتم بمقصداقيته، أو علاقته بمجتمعه، بل يهتم بنظام اللغة وتماسك بعضها رقاب بعض.

رابعا: تنظر البنيوية إلى النص من حيث رموز ودلالات، وتدرس ما فيه من نحو وصرف، وتشابه، وتناظر، وتعارض، وتضاد ونحو ذلك.

خامسا: تحتفل البنيوية: بألغاز، وأحاج، وكلمات منقطعة يشتكي النقاد من صعوبة عضها.

عناصر البنيوية عند النقاد العرب وغير العرب

منذ القرن العشرين الميلادي بدأت التحديات المختلفة تواجه الأدب والنّقد عند العرب، فذهب عدد من النّقاد وخاصة من المغرب العربي يبحثون عن الجديد، ويحاولون أن يسهموا في التّجديد النّقدي عند العرب، فقاموا بترجمة البحوث الغربية إلى العربية ويطلقون على بعضها أسماء تناسبها، منها التفكيكية، والشكلانية، والبنيوية.

وأمّا البنيوية فإنّها تتنوّع إلى ثلاثة أشكال وهي: البنيوية اللغوية، والبنيوية الأدبية، والبنيوية التركيبية. وأما هذه الأشكال الثلاثة فقد انطلقت كلها من نظرية (فرديناند دوسوسير) وغيره من أعلام علم النقد الأدبي الحديث.

١) البنيوية اللغوية: يعتبر البنيوية اللغوية أصلا أساسيا لجميع الأشكال البنيوية، وهي تدور غالبا حول آراء "دوسوسير" في كتابه الشهير "دروس في علم اللغة العام" ولقد اهتم المؤلف في هذا الكتاب بالنظام اللغوي، وبثنائية اللغة والكلام ونحوهما.

٢) وأما نسق اللغة فهو: مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الكلام الفردي وتمكنه من أن يكون ذا دلالة ومن دون هذا النسق يصبح الكلام أصواتا بلا دلالة ولا معنى (Qasab, ٢٠٠٧). اللغة- إذن- شكل، وليست مادة، وبعبارة أخرى هي مجموعة علاقات وليست مفردات محدودة المعاني، ولا يمثل شيئا لغويا إلا العلاقات التي تجعل الربط بين الكلمات والوحدات اللغوية المفردة داخل نسق الجملة الكاملة المفيدة، أو مجموعة من الجمل المنحصرة في الأنساق الصغرى أو الكبرى في النص، ويرى الباحثون النقاد أن هذه العلاقات تتنوع إلى اثنين هما:

أ- العلاقة السياقية Syntagmatic، أو علاقة المجاورة، وهي التي تظهر قيمة الكلمة عند مقابلتها بغيرها من كلمات، وتقوم بتتابع كلمات إثر بعضها، ذلك ليتألف كلها في بوتقة واحدة، وإلى هذا النوع يشير عبد القاهر الجرجاني عند حديثه عن النظم وقال: "اعلم أن هناك أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من جانب آخر، وهو أن الألفاظ المفردة التي من

أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد."(al-Jurjani, ١٩٦٩).

ب- العلاقة الإيحائية (Associative)، هي قدرة الكلمة على أن تثير كلمات أخرى بالتداعي والإيحاء خرجية عن القول، ولكنها تشترك معها في علاقة ما بالذاكرة. فكلمة "مدرسة" مثلا تسوق إليك معاني كثيرة مثل زاوية، مذهب، مجلس، فكرة. ولقد أدرك العرب سر إيحاء الكلمة وبنوا نقدهم عليه، فهذا عبد الملك بن مروان يستمع إلى قيس الرقيات في قصيدته التي يقول فيها:

اسمع أمير المؤمنين * لمدحتى وثنائها
أنت ابن معتلج البطا * ح كديها وكدائها
ولبطن عائشة التي * فضلت أروم نسائها

بعد أن استمع عبد الملك إلى القصيدة لم يعجبه كلمة (بطن) بل آثر عليها كلمة (نسل) وإن كان معنى البطن هو الجماعة من الناس دون القبيلة- مشتركة بين هذا المعنى ودلالتها على العضو المخصوص من جسم الإنسان، وإضافة الكلمة إلى عائشة ينبه الذهن إلى المعنى الثاني، ويوحى إليه بمعان لا يرتاح عبد الملك إلى إثارتها (Badawi, n.d.).

٣) أما ثنائية اللغة والكلام: فلقد أورد أصحاب البنيوية لهذا الصدد كثيرا من المصطلحات النقدية والفكرية منها: "اللغة" و "الخطاب"، و "النظام"، و"النص"، و "والكفاءة"، و "القدرة"، و "الرمز"، و "الرسالة"، "اللغة والكلام"، وهذا الأخير هو أكبر تداولا وأدق عند نقاد العرب المعاصرين.

يذهب البنيويون إلى أن دراسة اللغة ينبغي أن تكون في زمن معين بعد إنتاج النص، بحيث يمكن فيها تحليل العلاقات المتزامنة بين أجزائها المكونة مع التركيز على الجوانب التاريخية التعافبية التي تهتم بتغير اللغات حسب الأزمنة، وقد يعتبر الدراسة التاريخية التعاقبية نورة على منهج النقد التقليدي إذ في استطاعتها أن تحرر اللغة من أية ملابسات خارجية.

وأما الكلام فهو عبارة عن حديث لغوي يتعاطاه أبناء اللغة، وبعبارة أخرى هو الحديث الذي يتبادله الناس في شؤونهم المختلفة (Qasab, ٢٠٠٧). ولكن الفرق بينه وبين اللغة هو أنه لم يكن محددا كما كانت اللغة محددة، وطريقة الكلام هو ما يسمى "الأسلوب" الذي هو ظاهرة فردية، فلكل فرد طريقته الخاصة في التكلم، ولهذا الغرض أشار الغرض النقاد إلى العلاقة التي بين اللغة والكلام، وشبهها بالعلاقة بين السيمفونية وأدائها موسيقيا، فالأداء الموسيقي ليس هو السيمفونية نفسها، إذ يصح أن تعرف السيمفونية آلاف المرات فيختلف العزف باختلاف آحاد العازفين. ولكن ذلك لا يخدعنا عن إدراك أن السيمفونية واحدة وإن تعددت صور الأداء

والسيمفونية هي القوة الناطنية التى عنها تحركت كل صور التعبير، وكذلك يقال في اللغة (Qasab, ٢٠٠٧). وبهذه العلاقة أثرت نظرية البنيوية في الآداب ونقدها.

ثنائية الدال والمدلول

يقول البنيويون إن اللغة تتكون من علامتين اثنتين، هما الدال (Signifier) و "المدلول" (Signified)، والدال هو الصورة الصوتية أوالكتابية للكلمة، والمدلول هو المفهوم من هذه الكلمة، والعلاقة بين هذين العنصرين هي علاقة جزافية أو اعتباطية (Arbitrary) فصوت "بيت" مثلا هو الدال الذي يقابله المدلول "بيت" أي المفهوم الذى يثيره الصوت في ذهن السامع، والذى يبدو هو أن الصورة الصوتية لا تدل على مفهومها أو لا يدل "الدال" على (مدلوله) أي معناه، إلا بالعرف والثقافة والتاريخ، ولو أن لفظ البيت يدل على معناه المفهوم منه، بصوته وصورته المكتوبة لعرف معناه ذلك كل من لم يعرف العربية.

البنيوية الأدبية

إن البنيوية الأدبية عبارة عن دراسة الأدب من حيث استقلاله وتجرده عن الظروف والعوامل الخارجية المختلفة كالعصر، أو المجتمع، أو حياة صاحبة، أو ما شاكل ذلك. إن أصحاب البنيوية الأدبية يهتمون بكيفية انتاج المعنى لا بالمعنى نفسه، ويتحدثون عن اللغة عن ذاتها، ويهاجمون المناهج النقدية التقليدية.

ولكمال أبوديب قصيدة يدرس فيها النقد البنيوي، ونقتطف منها ما يأتي:

في قلبه تنور
والنار فيه تطعم الجياع
والماء من جحيمه يفور
طوفانه يطهر الأرض من الشرور
ومقلتاه تنسجان من لظى شراع
تجمعان من مغازل المطر (Qasab, ٢٠٠٧).

نرى أن هذه القصيدة تجمع بين النقيضين (النار والماء) فهما يمثلان العنف والهدوء تصويرا للداخل والخارج، وفي ورود ذكر "قلبه ومقلتاه" نجد احتفاظ القصيدة على بنية النص، إذ المقلتاه تجمعان خيوط الشراع من مغازل المطر "الماء" ومن عيون تقدح الشرر "النار" وتظل العلاقة بين النار الماء علاقة متوازنة إذ تتوزع اللغة بينهما بدرجتين متعادلتين.

البنيوية التكوينية

نشأت هذه البنيوية في أحضان الفكر الماركسي، وهي نوع من سوسيولوجيا الأدب الذي تقيم علاقات بين العمل الأدبي والمجتمع، سوى أن المجتمع في منهج البنيوية يختلف عما عليه النقد الاجتماعي الذي شارك فيه العقاد، وطه حسين، والمازني، وسيد قطب وأمثالهم، إذ أن النقد الاجتماعي عند هؤلاء يبحث في الأدب عن الواقع، ويعده عاكسا له، أما في البنيوية التكوينية فإنه لا يعكس العمل الأدبي حرفيا، بل ينظر إليه من خلال فهمه له.

ومن نماذج البنيوية التكوينية قصيدة قالها أحمد عبد المعطي في "ثلج" نقتطف منها ما يأتي:

البياض مفاجاة
حين عرّبت نافذتي
سدّني من منامي النديف
الذي كان يهطل متئدا
ما نحا كل شيء نصا عنه
ومداه الشقيف.
سدّني.
كان دوامة من رفيف
جذبتنى لها
فرحلنا معا
وانطلقنا معا
نرفرف من غير ظل
ونرقص بين الصعود وبين الهبوط
يراودنا العشب
والشجرات العرايا
ومتكئات النوافد والشرفات
وأيدى الصغار وأيدى التماثيل
والكائنات المطلة حول السقوف
بياضا تقلب في ذاته
كرفوف من البجعات
على نبع ماء
يمسّحن شهبة أعناقهن الطوال
على ريش أجسادهن الوريف

ثم أشرقت الشمس من فوقنا
فسقطنا معا
وانحللنا معا
في رتابه هذا السواد الأليف (Qasab, ٢٠٠٧).

بعد أن نظرنا إلى هذه القصيدة من جانب البنيوية التكوينية، رأينا أن محتوياتها تعكس المجتمع أو الواقع الاجتماعي، الذي هو سابق في الوجود على العمل الأدبي، لأن كلمة "البياض" التى جاءت في بداية القصيدة تدل على رؤية للعالم، والبياض في الحقيقة يقع موقع الإيجاب، وخاصة عند تصوير الرؤي حول العالم، وهو الذي يمنح كل شيء نصاعته، ووردت في القصيدة ما يساند هذه النصاعة. منها قوله: "تزفرف من غير ظل"، "ونرقص، ويراودنا العشب"، وكذلك قوله: "عربت نافذتي" كل هذه الكلمات تدل على تعلق المتكلم بالواقع الاجتماعي، ونلمس أن هذه القصيدة لا تعكس المجتمع حرفيا، وإنما يعكسه على ضوء صلته بالواقع، وبالإشارة إلى السلوك.

موقف الإسلام من البنيوية

نقصد هنا إيراد موقف القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف تجاه موقف العلماء والباحثين البنيويين وخاصة في العقيدة وفي النّصوص الشّعرية والنثرية عند العرب.

ولقد استفاضت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في بيان تنويه الإسلام بفضل العلم والعلماء ومما جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (سورة العلق، الآية ١)، وقوله: ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ (سورة العلق، الآيتان ٤-٥)، وقوله: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٨)، وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: "إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يرثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر" رواه أبو داؤد الترميذي، وعلى هذا الأساس اتجهت جهود النقاد الإسلاميين إلى البحث عن موقف الإسلام من البنيوية فاتجهوا إلى اثنين:

الأول: الاتجاه الفني

إن البنيوية- كما عرفت- تدعو إلى ترك القديم في لغة ودين، ويذهب إلى أن الجديد هو ترك القديم كله، وفي الإسلام الجديد هو ترك الباطل القديم واتباع الحق في قدمه وجدته في امتداده مع الزمن كله (al-Nahwi, ٢٠٠٥) ، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٧٠).

ولقد كرر الله سبحانه وتعالى أمثال هذه المعاني في القرآن الكريم ليبين لنا حقيقة القديم وحقيقة الجديد، إذ القرآن مصدر كل علوم وفنون، شأنه شأن الكون فيه عجائب وغرائب، وخصائص (.(al-Ilori, ١٩٩١

ومن ذلك إن الاعتداد بالنموذج اللغوي وحده في درس الأدب هو الذي أدى البنيويين إلى الغلو والتطرف في استبعاد المجتمع والتاريخ والنفس من هذه النظرية، مع القرآن الكريم يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (سورة النساء، الآية ١٧١).

ويقول في مكان آخر:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (سورة المائدة، الآية ٨) ولقد نزعت البنيوية من الإنسان إنسانيته وفرديته اعتمادا على قاعدة "بنية النص" أو "موت الإنسان" ونحو ذلك مما أدي النقد إلى الإنساني، وهذه الظاهرة تختلف كل اختلاف عما في الإسلام، لأن القرآن يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (سورة الإسراء، الآية ٧٠).

وقد لا يبالي البنيويون بما سماه الفلاسفة بالوجود، والذات، والإنسان، والتاريخ، بل يتحدثون فقط عن البنية والنسق واللغة، وينظرون إلى النصوص من حيث قيمتها المعرفية، ذلك لاستبعادهم عن أحكام مغزاها وثقافتها.

الثاني: الاتجاه الفكري

يسجل للبنيوية من الاتجاهات الفكرية ما يسجل للأدب الماركسي بشكل عام، وهو عدم إيمانه بالدين، والتركيز على إحلال شيء آخر محل أي دين ولهذا أخذ أحد نقادهم بالغرب يقول:

البنيوية هي – من بين أشياء أخرى- محاولة أخرى، من سلسلة محاولة مشؤومة قامت بها النظرية الأدبية لإحلال شيء آخر أكثر فاعلية محل الدين، وهي – في هذه الحالة- دين العلم الحديث (Qasab, ٢٠٠٧). البنيوية إذن فكرة الماديين الدهريين الذين ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (سورة الجاثية، الآية ٢٤).

ولقد امتلأت هذه البنيوية بأفكار تشكيك في اليقين والإيمان بأي شيء محدد أو ثابت منها فكرة إلغاء الخالق والمخلوق التي طالبنا الإسلام الإيمان بها لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة الصفات، الآية ٩٦)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ (سورة النحل، الآية ٧٠).

ومن خلال هذا نلمس صراعا بين الإسلام والعلمانية أو بين الحق والباطل فمن استمسك بالحق الذي يدعو إليه الإسلام فعسى أن يهديه إلى ترك الباطل وإلى صراط مستقيم.

خاتمة

ومما يبدو أن الإسلام دين يدعو إلى النمو والتطور على أسس إيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فعلى الأدباء المعاصرين أن يتنبهوا أن نقدنا العربي المعاصر لا بد أن يكون متحررا من قبضة الفكر المادي الذي يدعو إلى عزل الدنيا عن الأخرة، ويجعل أمر الدين كله وأمر الآخرة خاصة بالفرد يؤمن به أو يكفر، مع أن الإسلام يربط الدنيا بالآخرة ويدعو إلى إيثار الدار الآخرة على الدنيا، إذ الدنيا ممر إلى الآخرة، حيث يكون المستقر هناك في الجنة أو في النار، بل يدعونا الإسلام إلى أن نتقن في أعمالنا الفنية وغير الفنية عبادة لله تعالى على نحو ما فصله الكتاب والسنة.

REFERENCES

Badawi, A. (n.d.). *Usus al-Naqd al-Adabi ind al–'Arab*. al-Qahirah: Nahdah Misr.

Fadl, S. (2005). *Manahij al-Naqd al-Mu'asir*. al-Qahirah: Maktab al-'Aas li al-Nashr wa Intaj al-'llm.

al–Ilory, A. A. (1991). *Athar al-'Ilm wa al-Falsafah wa al-Nusus fi Masirat al-Da'wah al-Islamiyyah*. n.p.: n.p.

al-Jurjani, 'A. a.-Q. (1969). *Dala'il al-I'jaz*. al-Qahirah: Dar al-Mudni.

al-Nahwi, A. A. R. M. (2005). *al-Tajdid fi Shi'r bayn Ibda' wa al-Taqlid wa al-Inhiraf*. Riyad: Dar al-Nahw li Nashr wa al-Tawzi'.

Qasab, W. (2007). *Manahij al-Naqd al-Adabi al-Hadith: Ru'yah Islamiyyah*. Damascus: Dar al-Fikr

Ragib, N. (2003). *Mawsu'ah al-Nazariyat al-Adabiyyah*. al-Qahirah: Matba'ah Nawyar.

al- Samari, I. A. A. (2011). *Ittijahat al-Naqd al-Adab al-'Arabi fi al-Qarn al-Ishrin*. al-Qahirah: Dar al-Afaq al-'Arabiyyah.